حاضر الإسلام

الاستقلال:

كما أخفق النضال اليائس الذي خاضه بطل الحرية الجزائري عبدالقادر ضد التغلغل الفرنسي في بلاده اعتباراً من عام 1830، كذلك كان مصير حركة المهدي في السودان التي قامت عام 1885 ضد المحتلين البريطانيين. مع ذلك ألهمت هاتان الحركتان بقية الحركات التحررية التي أعادت للعالم الإسلامي استقلاله، كما في المقاومة الجزائرية (1954ـ 1962) بعد حروب تحريرية دموية استمرت لأعوام طويلة، فكانت صدمة الاستعمار لا مفر منها. لكن الذي أغاظ الكثير من المسلمين بشكل خاص هو أن جميع القوى الاستعمارية قد اتبعت بوسائل التنصير والعلمنة سياسة التقليل من عدد المسلمين (إضعاف الأسلمة) وقامت بتربية نخب اجتماعية بما يخدم هذا الهدف.

أدى ذلك إلى أن الجيل الأول من السياسيين الوطنيين، الذين جاؤوا عقب حصول بلدانهم على الاستقلال، مثل: بن بيلا ـ بورقيبة ـ عبد الناصر ـ سوكارنو ـ جناح، لم يتبعوا سياسة إسلامية، بل ورطوا العالم الإسلامي، بالاشتراكية والشيوعية والفاشية والقومية أو الليبرالية المتعفنة بفشل تلو الآخر.

obeikandl.com

وهذا هو السبب الذي جعل الحركات الإسلامية تستخدم شعارات مثل «الإسلام هو الحل». ومعظم هذه الحركات هي في النهاية ورثة تلك التجمعات التي كانت أصلاً متحمسة إسلامياً وقاومت الاستعمار.

الاستشراق:

حتى القرن الثامن عشر أبدى مفكرون أوروبيون كبار اهتمامهم المتعاطف مع الإسلام، نذكر منهم في المناطق الناطقة بالألمانية كلاً من يوهان ياكوب رايسكه Johann Jacob Reiske وليسينغ Lessing، فريدريش الكبير Friedrich der Grosse وغوته Goethe وهنا تميز بعض العلماء، وبخاصة في مجال التعامل اللغوي مع القرآن الكريم [(هاينريش ليبيرشت فلايشر Heinrich Leberecht Fleischer (متوفى عام 1888) ثم رودي باريت Rudi Paret (متوفى عام 1983) والبحث في تاريخه. مثل ثيودور نولدكه Theodor Noeldeke(متوفى عام 1930) والأحاديث النبوية مثل: أغناس غولد تسيهر Agnaz Gold ziher (متوفى عام 1921) والشرع الإسلامي مثل يوسف شاخت Josef Schacht (متوفى عام 1969) والأدب العربي مثل كارل بروكلمان Carl Brockelmann (توفى عام1956).

كما أصدر هلموت ريتر Hellmut Ritter (متوفى عام 1971) نصوصاً كلاسيكية نشرتها المكتبة الإسلامية Bibliotheca Islamica.

وفي الوقت نفسه تحول علم الاستشراق، وبخاصة في إنكلترا وفرنسا وهولندا، ليصبح علماً مساعداً في خدمة التغلغل الاستعماري في العالم الإسلامي.

كما أن بعض المتخصصين في الإسلاميات، مثل: لورنس العرب، وهاري فيلبي، وسنوك هورجرونه، كانوا في الوقت نفسه عملاء «سريين» للمخابرات.

وهذا ما قلل من قيمة علم الاستشراق الذي يطلق عليه الآن اسم علم الإسلاميات، بالرغم من وجود علماء في ألمانيا يتناولون الإسلام بميول وجهود تستهدف الموضوعية، مثل الأستاذات: أنيماري شيمل، أنجيليكا هارتمان، غودرون كريمر وأنجيليكا نويغيرت.

الحركة الإسلامية

ظاهرة عصرية:

وُجدت في مسيرة التاريخ الإسلامي حركات إصلاحية شبه منتظمة لإعادة إحياء الإيمان النقي والدفاع عنه. وفي العالم الإسلامي المعاصر هناك حركة تخدم هذا الهدف هي «الحركة الإسلامية». ويحدد أحد أهم قادتها، وهو «خرّم مراد»، أهدافها بما يأتي: «جهد منظم لتحويل المجتمع الحاضر إلى مجتمع إسلامي يعتمد على القرآن والسنة. وهنا يجب أن يصبح الإسلام كنظام لمجمل الحياة والمبدأ الأسمى، وبخاصة في المجالات السياسية ـ الاجتماعية».

بالرغم من أنها متجذرة في التقاليد، إلا أن الحركة الإسلامية - وبسبب طرائقيتها المعاصرة، والدور القيادي لنشطاء غير مثقفين دينياً - تحولت شيئاً فشيئاً إلى ظاهرة، فهي غير مهتمة بتحديث

الإسلام، بل بأسلمة الحداثة، فهي لا تنشط ضد الحداثة بل من داخلها، كظاهرة من ظواهرها. يعود الفضل في إعادة إحياء الإسلام في القرن العشرين، بنهضته وصحوته ـ بلا شك ـ إلى الحركة الإسلامية؛ لأنها أخيراً وليس آخراً تعمل داخل وخارج العالم الإسلامي ضد الاضطهاد والظلم في المجال الاجتماعي والاقتصادي وضد المبالغة في التأثير الثقافي الدخيل.

أما داخل العالم الإسلامي فتقف كحركة احتجاج دينية ـ سياسية ضد الوضع الراهن غير الإسلامي، وتجتذب بالدرجة الأولى سكان الأرياف والبروليتاريا المدنية والبرجوازية الصغيرة وكذلك العاطلين عن العمل والمثقفين والطلاب والمراتب الدنيا في سلك الشرطة.

أما خارج العالم الإسلامي فعلى العكس، إذ تظهر هذه الحركة بالدرجة الأولى كجماعة دينية بارة (تقية) تركز اهتمامها على مسألة الدفاع عن الهوية الإسلامية، وتشكك ببعض التقاليد الغربية ذات الطابع الدنيوي، وتضع بعض المُثُل الغربية، مثل حق تقرير المصير، والتعددية والتسامح على محك التجربة.

ظروف الولادة:

فقد العالم الإسلامي قدرته على التجديد منذ القرن الخامس عشر. فقد كانت الأوضاع فيه تغري بالأطماع الاستعمارية؛ ولذلك سرعان ما تم استعماره ما عدا بضعة كيلومترات مربعة في قلب شبه الجزيرة العربية. وهددت «الغربنة» (زحف الثقافة والقيم الغربية)

الإسلام حتى في وجوده. لكن جهوداً إصلاحية برزت في القرن الثامن عشر على يد الشاه ولي الله (متوفى عام 1763) في الهند، ومحمد عبد الوهاب (متوفى عام 787) في شبه الجزيرة العربية، قد أعطت ثمارها وقويت في القرن التاسع عشر على يد عبقري سياسي هو جمال الدين الأفغاني (1838 ـ 1897) وشيخ جامعة الأزهر المصرية «محمد عبده» (1849 ـ 1905).

وعلى هذه القاعدة أسس حسن البنا عام 1928 حزب الإخوان المسلمين في مصر وأبو الأعلى المودودي في الهند جماعة إسلامية مشابهة اسمها «جماعات إسلامي».

وكلتاهما حركتان حديثتان نشيطتان قام بهما من هم من خارج رجال الدين بمشاركة فاعلة من المثقفين الأكاديميين، وكان «سيد قطب» الذي أعدمه جمال عبد الناصر عام 1966 هو «المنظّر الرئيس» لجميع الحركات الإسلامية، وقد ترك لها كتاباً فكرياً راديكالياً بعنوان «معالم على الطريق» كان له دوماً تأثير عالمي.

كانت هاتان المنظمتان نموذجاً لكل حركات التجديد الإسلامية اللاحقة، سواء أكانت في ماليزيا (حركة الشباب الإسلامي) أو «الأرقم» أو في أندونيسيا «نهضة العلماء» أو في بانغلاديش (جماعة التبليغ) أو في حركة حماس التي أسسها الشيخ أحمد ياسين في فلسطين أو في باكستان (التحريك الإسلامي) وفي تونس حركة النهضة الإسلامية، وفي الجزائر (الجبهة الإسلامية للإنقاذ). وحتى حزب الله اللبناني، استناداً على الآية الكريمة: ﴿ ... **أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ (المجادلة ـ 22).

الحركة الإسلامية اليوم:

من الخطأ أن نسمي مثل هذا التمرد على الوضع الراهن «تمرداً من أجل الخبز» لأنه يمثل الإسلام السياسي والروحي معاً.

على المستوى العالمي أحيت الحركة الإسلامية، وعلى مدى عقود قليلة، الشعور بالانتماء المشترك لدى المسلمين والإسلام المحافظ.

أما إعادة «التسلح بالأخلاق» الإسلامية، الذي طرأ خلال العقود القليلة الماضية، فقد جاء بفضل هذه الحركة الإسلامية، مثلها مثل إنشاء بديل ديموقراطي للنظم السياسية المستبدة في العالم الإسلامي.

يطلق أعضاء الحركة الإسلامية على أنفسهم غالباً اسم «إسلاميون» (أو هكذا يوصمون) لأنهم يريدون تغيير العلاقات السياسية لتحقيق الإسلام حتى على المستوى السياسي.

بذلك يبدو أنهم يضفون على الإسلام طابعاً إيديولوجياً، وهذا وصف خاطئ؛ لأن كل مسلم مدعو لتطبيق قناعاته الدينية في مجال عمله، حتى بكونه مجرد مواطن. لا شك بأن هناك مجموعات تعلق أهمية كبرى على طريق استخدام انتقائي لمصادر تحويل دينهم إلى دولة وتجعل له الأولوية.

بعضهم يرى في إعادة بناء الخلافة هدفاً أسمى. وفي هذا المجال يذهب عدم التسامح بين المسلمين أنفسهم بعيداً جداً، بحيث يكفرون بعضهم بعضاً، بالرغم من أن الإسلام يحرّم ذلك.

هل من استعداد للعنف؟

يسمح الإسلام أساساً بمقاومة ظلم النظم غير الشرعية، ﴿وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (الشورى 41-42).

ولكن ليس كل ما هو حق، انتهازي. فهذا يتعلق بفرص النجاح وفيما إذا أمكن حماية من لا ذنب لهم من الضرر. فالجماعات الهامشية التي تميل إلى الراديكالية (التطرف) من أوساط الحركة الإسلامية تندفع بلا تعقّل إلى المقاومة العنيفة ضد حكومات غير شرعية ولكن قوية جداً، ويسلكون سلوكاً غير إسلامي بخطف الرهائن وقتل من لا علاقة لهم. (استنكر المجلس المركزي للمسلمين في ألمانيا في 3 أيار (مايو) 2000 اختطاف سياح في الفيليبين ورفضه؛ لأنهم برروا عملهم استناداً إلى الإسلام وأكد: «أن الإرهاب والإسلام متعارضان»).

مثل هؤلاء «المسلمين» يقدمون للحكومات المتمسكة بواقعها الراهن حجة لضرب المجموعات المسالمة أصلاً. وعلاوة على ذلك يضرون بسمعة الإسلام في كل العالم، حيث توصم الجماعات الإسلامية، المسالمة بطبيعتها، بالدموية والإرهاب.

في الواقع هناك كثير من المسلمين في العالم الإسلامي يقبعون في السجون، ولكن ليس بسبب أعمال عنف، بل على سبيل الحبس الاحتياطي؛ لأن الأحزاب الإسلامية اليوم ستكسب الانتخابات في

معظم الدول الإسلامية فيما لو جرت انتخابات حرة ونزيهة. ففي سورية مثلاً، ومنذ عام 1980، يعاقب على مجرد العضوية في الإخوان المسلمين بالموت، وفي تونس ومصر على الأعضاء في هذا الحزب والمتعاطفين معهم ـ بالرغم من التزامهم بعدم استخدام العنف ـ أن لا يُسقطوا الملاحقة القضائية من حسابهم.

ومن هنا فإن الغرب قد أصبح خلال العقدين الماضيين ملاذاً للعديد من قادة الحركة الإسلامية. وهؤلاء ينشطون سياسياً ليس ضد البلدان التي يقيمون فيها، بل ضد أوطانهم، ولم يعودوا يتهمون الغرب عموماً.

ولا يمكن للمرء الآن أن يتهمهم إلا بأنهم يريدون المشاركة على قدم المساواة في العملية السياسية لبلدانهم الأصلية، ويؤيدون التحول إلى التعددية وحكم دولة القانون.

الصورة المعادية للإسلام:

نبّه ك.ج كوشل K.J. Kuschel إلى أن أوروبا تعيش الآن ما سمّاه بـ «الدفعة التعددية» الثالثة. ففي القرن السادس عشر قامت تعددية مسيحية بدلاً من الكنيسة الواحدة. وفي القرن الثامن عشر قامت تعددية تضم المسيحيين وغير المسيحيين. ومنذ القرن العشرين يشكك الإسلام بممثلي المسيحية المتأصلة وبالعلمانية المتأصلة. وبالتالي يشكك بمجمل الوضع القائم.

لم تؤد التعددية الحديثة إلى الاعتراف بالإسهام الإسلامي في التراث المشترك، الذي هو في الحقيقة يهودي ـ مسيحي ـ إسلامي وإنساني. بل أكثر ما أدت إلى ردود فعل انفعالية مضادة لظهور الإسلام في الغرب. وهذا ما توضحه شهرة طروحات صاموئيل هونتينغتون المثيرة للخوف. بالرغم من أنه لا يوجد صدام محتوم بين الثقافات، بل فقط ضمن الثقافات ذاتها وبين أفراد، (كما في تركيا والجزائر وإسرائيل وإيرلندا الشمالية، وكذلك أيضاً في مدينة أوكلاهوما).

يوصم المسلمون بشكل عام بأنهم «أصوليون» وهذه حجة قاتلة يبدو أنها صيغة مبالغة لعبارة «غريب»؛ لأن كلمة «أصولي» هي ما لا نحبه، كما قال (يوهانيس نويمان).

يتولى الإسلام ـ كما يبدو ـ مرة أخرى مهمته الأوروبية في تقوية الانتماء والتآلف، باعتباره صورة معادية، ظهرت فيها الشيوعية العالمية في مرحلة عابرة.

وكما هو مألوف في الصور المعادية تفعل معاداة الإسلام ـ التي أصبحت الآن منتشرة على نطاق واسع كما كان الأمر سابقاً بالنسبة لمعاداة السامية ـ كمصفاة للإدراك الذي يودي إلى طمس صورة العدو التي تتنافى مع الحقائق.

يمكن لمثل هذه الآلية أن تؤدي إلى حلقة مفرغة من التقديرات الخاطئة. وبناء على ذلك فإن الأسلمة المتزايدة للسكان الأتراك في ألمانيا ـ حسب لوتس هوفمان ـ ليست سبباً، بل نتاجاً، لمعاداة الإسلام في ألمانيا.

الحوار الإسلامي المسيحي:

الأهم من ذلك هو الحوار الإسلامي مع ممثلي الكنائس، خاصة أن هذه جميعها قد دخلت في عملية تحول عميقة الأثر. فالكنائس المسيحية ـ بالرغم من أنها متمسكة بمهمة توصيل عقيدتها ـ لم تعد تقوم بالتبشير من موقع القوة. كما أن المسلمين متمسكون بالقرآن الكريم بعدم الدعوة إلى الإسلام إلا بالطيبة والرفق، ﴿**ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ..**﴾ (النحل 125). ﴿**وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ...**﴾ (العنكبوت - 46).

وهذه شروط للتفاهم أفضل من كل ما سبقها. أما في العصور الوسطى فلم يكن من الممكن لحوار كهذا أن يكون ناجحاً، بالرغم من محاولات فردية قام بها كل من ريموندوس لولوس Raymundus Lullus والقديس فرانسيسكوس Franziskus والإمبراطور فريدريش الثاني.

لقد قسم المسلمون العالم آنذاك إلى قسمين: دار الإسلام ودار الحرب. وهذان تعبيران أصبحا الآن خارج التداول.

والحوار الآن لا يعد بالنجاح إلا إذا جرى بين متعادلين، وأن لا يهدف إلى التبشير ويكون التركيز فيه منصبّاً على مهام اجتماعية مشتركة، أكثر منه على الاختلافات العقائدية التي تفرق؛ لأنه بالرغم من أزمة العقيدة المسيحية في الكنائس، والتي يمكن التغاضي عنها، فإن الجانبين لن يتفقا على الطبيعة الحقيقية للمسيح (هل هو شخص إلهي ضمن الثالوث؟) بغض النظر عن رؤية كل من جون هيك

John Hick وهانس كونك Hans Kueng وغيرد لوديمان Gerd Luedemann وباول شغار تسيناو Paul Schwarzenau، والشيء نفسه ينطبق على دور النبي محمدﷺ (هل هو نبي حقيقي؟) وعلى القرآن الكريم (هل هو موحى به؟).

أعلنت الكنيسة الكاثوليكية في أثناء اجتماع المجمع الكنسي الثاني في الفاتيكان (1962/65) عدة أشياء صدرت بمنشور بابوي (1963). المبدأ الخطير بأنه ما من خلاص خارج الكنيسة. آنذاك عبر المجمع أيضاً عن تقديره العالي للمسلمين، الذين يعبدون إلهاً واحداً، لكنه لم يتطرق إلى الاعتراف بالنبي ﷺ أو بالقرآن الكريم. كما أن الاعتراف المحدود والمعنوي بالذنب، الذي قدمه البابا يوحنا بولس الثاني في آذار عام 2000، لم يثمر إلا عن تقارب آخر محدود، اقتصر على الجانب النفسي فقط، خاصة وأنه لم يشمل الكنيسة، ولم يتطرق إلى الحملات الصليبية أو حروب الاسترداد أو محاكم التفتيش ضد المسلمين وطردهم من إسبانيا.

وعلى العكس من ذلك تبدو الكنيسة الإنجيلية الألمانية والمكلفين فيها بالشؤون الإسلامية أكثر انفتاحاً.

من المفرح أيضاً وجود مظاهر تقارب في الحوار الثلاثي اليهودي المسيحي الإسلامي، عندما يعترف ممثلو العقيدة الموسوية بأن معاداة المسلمين للصهيونية لا تعني أبداً معاداة السامية. شرط آخر لحوار ثلاثي هو أنه عند بحث الإلهي المقدس - كقاسم مشترك - يتم

الحديث عن الله تعالى بالدرجة الأولى، وبشكل أقل عن المسيح. لكن الشيء البارز بكل جوانبه هو القناعة بأنه في عالم خليط من المادية واللامادية يجلس كل المؤمنين في قارب واحد، يوحدهم أكثر مما يفرقهم.

obeikandl.com